العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الدراسات والنشرات

التكبر آفة عظيمة

يهلك بها خواص الأنام وغيرهم من العوام

دعوة لتجنب تداعياتها الخطيرة التي تتربص بنا دوائر السوء والمنكر والعدوان

حسن الهاشمي

العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية

شعبة الدراسات والنشرات

كربلاء المقدسة
ص.ب (٢٣٣)
هاتف: ٣٢٢٦٠٠، داخلي: ١٧٥-١٦٣

www.alkafeel.net
info@alkafeel.net

الكتاب: التكبر آفة عظيمة يهلك بها خواص الأنام وغيرهم من العوام.
تأليف: حسن الهاشمي.
الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة.
التدقيق اللغوي: موفق هاشم الرحال.
التصميم والاخراج الطباعي: علاء سعيد الأسدي.
المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر.
الطبعة: الأولى.
عدد النسخ: ٢٠٠٠ .

ربيع الأول ١٤٣٦-كانون الثاني ٢٠١٥

أحسن المقال

تعال لندفع غائلة الكبر عن أنفسنا، ما رأيك بهذه الفكرة؟! إنها فكرة رائعة تجلب الخير الوارف على من يتقمصها، ولكي نخطو بخطوات متزنة ازاء التغيير، لابد أن نقلع جذور الكبر من أرضنا وابدالها بفسائل التواضع، وأول خطوة في هذا الاتجاه هي قبولنا الحق اينما وجد وحيثما وجد، فإن له الأثر البالغ في ابعاد الكبر وآثاره عن النفس التواقة إلى العيش المتوازن في المجتمع السعيد.

يساورني اليوم شعور ما أذكر أن عرفته من قبل ولعله الكبر، إن استطعت أن أكبح جماحه في نفسي تراني قادرا على اسعادها وانعاش العباد والبلاد، بل الذي ينساق بهذا الاتجاه فإن باستطاعته اصلاح فيما بينه وبين ربه، وهو خير معين لسعادة بني البشر في

الدارين، بخلاف ما ينتاب المتكبر الذي يبقى مصرا على الذنب ما يؤدي إلى غلبة هواه ومآثرة دنياه على آخرته، وهو بعينه السقوط والارتكاس في الحضيض لا محالة.

ولكي نجنب أنفسنا من الانـجـرار في ذلك المنزلق الخطير، علينا ترويض النفس بالرياضات الجسمية والروحية وصقلها وذلك بالتخلي عن الكبر والتحلي بالتواضع، وإنها لمهمة صعبة بحاجة إلى همة عالية وعمل دؤوب واعتقاد راسخ بأن الكبر نتائجه وخيمة ليست على الفرد فحسب، بل على الأسر والمجتمعات، وما من أمة ابتليت بهذا المرض العضال حتى بات عقلاؤها في امتحان عسير في التخلص من تبعاته المزمنة، ومن الضروري اقحام النفس في مجال الخدمة الخاصة والعامة، فحمل السلعة وحلب الشاة والأكل مع الخادم وسياقة السيارة أو الدراجة وقضاء

حوائج الناس وترك سخرة الآخرين قد تؤشر إلى زعزعة اسس التكبر في النفس وبناء صرح التواضع بدلا عنها.

ولكي نزيل عن دواليب حياتنا عصي التمييز الطبقي، ولكي تدار حياتنا بطريقة سلسة دونما منغصات، علينا ايجاد السبل الكفيلة لتحقيق مبدأ التواضع ابتداء من البيت ومرورا بالمدرسة وانتهاء بدوائر العمل، فالكبر إذا ما ساد في مجتمع فلا يمكن لأفراده العيش وفق السياقات الطبيعية لمجتمع واعد، فالاستعلاء على الآخرين صفة مذمومة لا تزيد صاحبها إلا ظلما وعدوانا ولا تجلب على المجتمعات سوى الدمار والتخلف والفقر، ولمعالجة تداعياته الخطيرة وايجاد البدائل الكفيلة بالنهوض ثقافيا واجتماعيا وسلوكيا، كان هذا البحث عزيزي القارئ بين يديك...

التكبر حالة مرضية ممقوتة

التكبّر وهو حالة التعالي على الآخرين ورؤية النفس أن قدرها فوق قدر الغير، وتدعو الى الاعجاب بالنفس، والتعاظم على الغير، بالقول أو الفعل، وتعد من أخطر الأمراض الخلقية، واشدها فتكاً بالإنسان، وأدعاها الى مقت الناس له وازدرائهم به ونفرتهم منه، وهي من نتائج العجب فإنه إذا أعجب بنفسه أو بعلمه أو بعمله أو بشيء مما عنده، استعظم نفسه وتكبر.

ولا يزال المتكبر يرى نفسه فوق الغير واعتقاده المزية والرجحان عليه، وبهذا ينفصل التكبر عن العجب، إذ العجب مجرد استعظام النفس من دون اعتبار رؤيتها فوق الغير، فالعجب سبب التكبر والتكبر من نتائجه.

لذلك تواتر ذمها في الكتاب والسنة: قال تعالى:

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[1].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «**إن أحبّكم إليّ، وأقربكم مني يوم القيامة مجلساً، أحسنكم خلقاً، وأشدكم تواضعاً، وإن أبعدكم مني يوم القيامة، الثرثارون، وهم المستكبرون**».[2]

جاء رجل موسر الى رسول الله صلى الله عليه وآله نقيّ الثوب، فجلس الى رسول الله، فجاء رجل معسر، درن الثوب، فجلس الى جنب الموسر، فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذيه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: **أخفت أن يمسك من فقره شيء؟** قال: لا، قال: **فخِفتَ أن يوسخ ثيابك؟** قال: لا، قال: **فما حملك على ما صنعت؟** فقال: يا رسول الله إن لي قريناً يُزيّن لي كل

(١) لقمان: ١٨.

(٢) البحار، ج ١٥ ص ٢٠٩.

قبيح ويقبّح لي كل حسن، وقد جعلت له نصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للمعسر: **أتقبل**؟ قال: لا، فقال له الرجل: لِمَ؟ قال: أخاف أن يدخلني ما دخلك.[1]

وهذا اعتراف صريح من الموسر بأن التكبر من ايحاء قرين السوء وهو الشيطان، وعندما وبّخه الرسول الأعظم على تصرفه فإنه أفاق ورجع إلى رشده وعقله وأراد أن يكفّر عما بدر منه بأن تنازل عن نصف ماله للمعسر، الذي بدوره رفض تلك الأموال خوفا من أن يعتريه الشيطان ولو ببرهة من حياته كما اعترى صاحبه المسكين.

وثمة فرق واضح بين الكبر والتكبر، فمن تعزز ورأى نفسه باطنا فوق الغير من دون صدور فعل على جوارحه يقال له (كبر) وإذا ظهرت الأعمال يقال له (تكبر) وهذه الأعمال الظاهرة التي

(١) الكافي للشيخ الكليني ج٢ ص٢٦٢.

هي ثمرات خلق الكبر أفعال وأقوال توجب تحقير الغير والازدراء به، كالترفع عن مؤاكلته ومجالسته، والاستنكاف عن مرافقته ومصاحبته، وإبائه عن الجلوس بجنبه، وانتظاره أن يسلم عليه، وتوقعه أن يقوم ماثلا بين يديه، والاستنكاف من قبول وعظه، وتعنيفه في ارشاده ونصحه، وتقدمه عليه في المحافل والطرقات، وعدم الالتفات إليه في المحاورات، وتوقع التقدم عليه في كل ما يدل على التعظيم عرفا، ومن جملتها الاختيال في المشي وجر الثياب، إذ فاعلها يرى نفسه فوق الأكثر، ويقصد بها استحقارهم، وبالجملة الأعمال الصادرة عن التكبر كثيرة ولا حاجة إلى احصائها لكونها مشهورة معروفة، وهذه الأفعال المعبر عنها بالتكبر، قد تصدر عن الحقد أو الحسد أو الرياء، وإن لم تكن في النفس عزة وتعظم.

والحقيقة التي لا مناص من ذكرها إن الكثير

من أصحاب المناصب والجاه والنفوذ قد يصابون بهذا الداء الخطير، فإن الكرسي والحواشي العوام الذين يحيطون بالمسؤول إحاطة الذباب حول العسل، والصلاحيات المتوفرة لدى المسؤول من اشرافه على سجل الحضور والغياب والعلاوات والترفيعات والإيفادات والإجازات، كل ذلك يجعل منه طعما سهلا لاستفحال آفة التكبر عنده، ربما الحفاوة والتكريم والمبالغة بالاحترام الذي يلقاه من زملائه في الدائرة أو المؤسسة لا يمكن أن يلقاه في خارجها إذا ما جُرّد من صلاحياته المنوطة به في دائرة عمله، وظهور آفة التكبر منوطة بوجود المقتضي وهو المنصب وعدم وجود المانع وهو عدم وجود الورع لدى المسؤول، تماما كعملية الاحتراق فإنها لا تتم إلا بوجود الحطب وعدم وجود الرطوبة فيه، ولاستئصال حالة التكبر نحن بحاجة إلى تذكير

المتكبر بأن أولئك الذين يحفّوك بالاحترام والتبجيل إنما يقدمون على هذا لا لشخصك وإنما لمسؤوليتك! وإذا ما نُحّيت عن منصبك فلا أحد يسأل عنك لا سيما من جوقة المنافقين والانتهازيين، أما إذا ما اتصف المسؤول بالتواضع فإنه سوف يفرض شخصيته على الجميع، لما له من آثار حميدة سواء في داخل المؤسسة أم خارجها، فإن التواضع له سحر أخاذ في استمالة القلوب، بخلاف التكبر الذي لا يحصد المرء منه إلا ازدراء ونفورا وكرها.

مساوئ التكبر

من الواضح أن التكبر من الأمراض الأخلاقية الخطيرة، الشائعة في الاوساط الاجتماعية، التي سرت عدواها، وطغت مضاعفاتها على المجتمع، وغدا يعاني مساوئها الجمة.

فمن مساوئ التكبر وآثاره السيئة في حياة

الفرد: أنه متى استبد بالإنسان، أحاط نفسه بهالة من الزهو والخيلاء، وجُن بحب الأنانية والظهور، فلا يسعده إلا الملق المزيف، والثناء الكاذب، فيتعامى آنذاك عن نقائصه وعيوبه، ولا يهتم بتهذيب نفسه، وتلافي نقائصه، ما يجعله هدفاً لسهام النقد، وعرضة للمقت والازدراء، هذا إلى أن المتكبر أشد الناس عُتوّاً وامتناعاً عن الحق والعدل، ومقتضيات الشرائع والأديان.

ومن مساوئ التكبر الاجتماعية: أنه يُشيع في المجتمع روح الحقد والبغضاء، ويعكّر صفو العلاقات الاجتماعية، فلا يسيء الناس ويستثير سخطهم ومقتهم، كما يستثيره المتكبر الذي يتعالى عليهم بصلفه وأنانيته.

إن الغطرسة داء يُشقي الانسان، ويجعله منبوذاً يعاني مرارة العزلة والوحشة، ويشقي كذلك

المرتبطين به بصنوف الروابط والعلاقات.

إضافة إلى ما ذكر فإنه آفة عظيمة وغائلة هائلة، وبه هلك خواص الأنام، فضلا عن غيرهم من العوام، وهو الحجاب الأعظم للوصول إلى أخلاق المؤمنين، إذ فيه عز يمنع من التواضع وكظم الغيظ وقبول النصح والدوام على الصدق وترك الغضب والحقد والحسد والغيبة وغير ذلك، فما من خلق مذموم إلا وصاحب الكبر مضطر إليه ليحفظ به عزه، وما من خلق محمود إلا وهو عاجز عنه، خوفا من فوات عزه، ولذا ورد في ذمه الكثير من الآيات والأحاديث نذكر منها قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ**﴾[1]. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **لا يدخل الجنة من**

(١) غافر/ ٣٥.

كان في قلبه حبة من خردل من كبر.[1]

فالمتكبر ولكي يحافظ على مجده المزيف تراه يخوض في الأحاديث والجدليات والمهاترات لكي يدعم موقفه وكلامه، وترى من الجهلة والمستفيدين من يستمع إليه ويصفق له، وهذا ما يخيل إليه إنه على حق والآخرين الذين يرفضون مواقفه على باطل، وفي بعض الأحيان يقوم بتجيير النصوص الدينية لصالحه لتبرير ما يقوم به من أعمال أو أقوال وهذا هو مكمن الخطأ والخطر في آن واحد، أن يفسر النصوص حسب أهوائه لا أن تكون النصوص هي الرقيبة عليه في كل شاردة وواردة في حياته، ولا غرابة من أن الذي يجادل بآيات الله من دون دليل علمي وشرعي ليدعم موقفه وما يصبو إليه، أن يكون ممقوتا عند الله تعالى مطرودا من رحمته، لأنه أغلق كل أبواب الحكمة

(١) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق ص٢٢١.

والتعقل وفتح أبواب اللجاجة والتنكر، فاقتضت حكمة الله تعالى أن يطبع على قلبه منكوسا في غيه وظلالته وعناده، وهو نتيجة عمله الذي أوصله إلى عاقبة السوء والضلالة والخسران المبين.

بواعث التكبر

الأخلاق البشرية كريمة كانت أو ذميمة، هي انعكاسات النفس على صاحبها، وفيض نبعها، فهي تُشرق وتُظلم، ويحلو فيضها ويمرّ تبعاً لطيبة النفس أو لؤمها، استقامتها أو انحرافها، وما من خلق ذميم إلا وله سبب من أسباب لؤم النفس أو انحرافها.

فمن أسباب التكبر: مغالاة الانسان في تقييم نفسه، وتثمين مزاياها وفضائلها، والافـراط في الاعجاب والزهو بها، فلا يتكبر المتكبر إلا اذا آنس من نفسه علماً وافراً، أو منصباً رفيعاً، أو ثراءً ضخماً، أو جاهاً عريضاً، ونحو ذلك من مثيرات الأنانية

والتكبر.

ولعله يشعر بالنقص والذلة في نفسه يحاول أن يتستر عليها بالتكبر، وقد يأتي من العجب والحقد والحسد للآخرين فيتجبر ويتكبر عليهم محاولة منه في اقناع نفسه أنه أفضل منهم شأنا، ومن أعظم الأسباب التي تدفع إلى التكبر الرياء وعدم الإخلاص لله تعالى، وإلا لو أنه أخلص في عمله لتذلل لله تعالى ولكن عمله للناس يتجبر ويتكبر على المستضعفين منهم.

وقد ينشأ التكبر من بواعث العداء أو الحسد أو المباهاة، مما يدفع المتصفين بهذه الخلال على تحدي الأماثل والنبلاء، وبخس كراماتهم، والتطاول عليهم، بصنوف الازدراءات الفعلية أو القولية، كما يتجلى ذلك في تصلفات المتنافسين والمتحاسدين في المحافل والندوات.

وعادة ما يلجأ المتكبر إلى المراء والمعاندة في جدله

ومناظراته مع الآخرين، لذلك جاء في النصوص على ضرورة ترك المراء مع المتكبر الذي يحاول من خلاله فرض رأيه على الآخرين لا توضيح الحقائق والإذعان لها حتى لو كانت مخالفة لرأيه وما يدعو إليه، وعندما يخسر المتكبر جولات النقاش العلمي أو عندما يحجم العقلاء عن مناظرته لجهله وعناده، فإنه يخيل إليه بأنهم قد انهزموا من مناظرته ومحاججته، فيكيل التهم والإفتراءات والسباب والشتائم إليهم بحجة عدم مناظرته، ويستنتج من وهم الخيال أنه الأعلم والأفهم لإحجام العقلاء عن رده، وهذا التوهم مردود ومرفوض لأنه نابع من هوس لا علم، وجنون عظمة لا جنوح للحكمة والموعظة الحسنة.

درجات التكبر

وهكذا تتفاوت درجات التكبر وابعاده بتفاوت أعراضه شدّةً وضعفاً، فالدرجة الاولى: وهي التي

استحوذ التكبر على صاحبها، فعالجه بالتواضع، ولم تظهر عليه أعراضه ومساوئه.

والدرجة الثانية: وهي التي نما التكبر في نفس المتكبر، وتجلت أعراضه بالاستعلاء على الناس، والتقدم عليهم في المحافل، والتبختر في المشي.

والدرجة الثالثة: وهي التي طغى التكبر فيها، وتفاقمت مضاعفاته، فجُنَّ صاحبها بجنون العظمة، والافراط في حب الجاه والظهور، فطفق يلهج في محاسنه وفضائله، واستنقاص غيره واستصغاره، وهذه أسوأ درجات التكبر، وأشدها صَلفَاً وعتوّاً.

والحالة الأولى سرعان ما تزول بمجرد الالتفات إلى النفس ومحاسبتها، أما الحالة الثانية والثالثة فإنها بحاجة إلى مواقف حازمة لاجتثاث جذور التكبر من صاحبها، كأن تكون المعالجة لهذا المنكر باليد والقوة لمن له القدرة على ذلك، وبالتوجيه والارشاد

لأصحاب الرأي والمشورة والثقافة والبيان، وبالمواقف الاستنكارية الرافضة لما يبدر منه من عنجهية وصلف واستهتار لعامة الناس، وذلك بإظهار الانزعاج وعدم الرضا عن تصرفاته وهو أضعف الإيمان كما ورد في الحديث الشريف، وهذه المقاطعة بجوانبها المتعددة قد تضرب حصارا وطوقا نفسيا واجتماعيا وماديا حول المتكبر لعله يرتدع عن ظلمه وتكبره، واذا اقتضت الحاجة فإن النصوص تؤكد على أن: (التكبر على المتكبر عبادة) لأن فيها احتقاراً وتحجيماً ولا مبالاة لتصرفاته، وكل هذه الأمور هدفها الوحيد الضغط على صاحب الخصلة المذمومة لكي يحجم عما يستحوذ عليه من بوادر السوء والمنكر والعدوان.

أنواع التكبر

وينقسم التكبر باعتبار مصاديقه الى ثلاثة أنواع:

(١) – التكبر على الله عز وجل: وذلك بالامتناع عن الايمان به، والاستكبار عن طاعته وعبادته، وهو أفحش أنواع الكفر، وأبشع أنواع التكبر، كما كان عليه فرعون ونمرود وأضرابهما من طغاة الكفر وجبابرة الالحاد، كقوله تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾.[١]

(٢) – التكبر على الأنبياء: وذلك بالترفع عن تصديقهم والاذعان لهم، وهو دون الأول وقريب منه، كما كان لمن يقول بشأن الأنبياء: ﴿**إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا**﴾[٢].

(٣) – التكبر على الناس: هذا وإن كان دون الأول والثاني إلا أنه من المهلكات العظيمة، وذلك

(١) غافر/ ٦٠.
(٢) ابراهيم/ ١٠.

بأن يستعظم نفسه ويستصغر الناس بازدرائهم والتعالي عليهم بالأقوال والأفعال، ومن هذا النوع التكبر على العلماء المخلصين، والترفع عن مسائلتهم والانتفاع بعلومهم وارشادهم، مما يفضي بالمستكبرين الى الخسران والجهل بحقائق الدين، وأحكام الشريعة الغراء، من حيث أنه يؤدي إلى مخالفة الله سبحانه، إذ صاحبه إذا سمع من عبد استنكف من قبوله واشمأز بجحده، ومن حيث أن العز والعظمة والعلى لا يليق إلا بالعلي الأعلى، فمهما تكبر العبد نازع الله في صفة من صفاته، ولذا قال الله في حديث قدسي: العظمة إزاري والكبرياء ردائي، فمن نازعني فيهما قصمته.[1].

نتائج التكبر

لا يزال الإنسان بفطرته السليمة ينجذب نحو

(١) جامع السعادات للنراقي ج١ ص٣٠٥.

المتواضع ويبتعد عن المتكبر، والمتكبر في حقيقة الأمر هو الذي يصنعه ضعاف النفوس من المنتفعين والمتزلفين والمنافقين، وإلا فإن عزيز النفس أبي الضيم مرفوع الرأس والهامة يأبى بطبعه أن يتزلف ويتملق للمتكبر، لأنه يعتقد بقرارة نفسه أن الأرزاق وعلو المقام والهيبة إنما تتأتى للمؤمن الذي تكون رابطته مع الله تعالى قوية ومتينة ومتراصة، (مَن عظُم الله تعالى في عينه صَغُر ما دونه أمامه)، ومن يرى أنه صغيرٌ كيف يتكبر على الآخرين؟! ومثل هذا الشخص بطبيعة الحال يتصاغر أمام عظمة الله تعالى ويتواضع لسائر خلقه، لأنه يعلم من تواضع لله رفعه في الدنيا والآخرة، في الدنيا السمعة الطيبة ومحبة الناس، وفي الآخرة النعيم الدائم الذي لا زوال له ولا اضمحلال، أما إذا ما خضع الإنسان للمتكبر فإنه يعينه على صلفه وتكبره وهو إعانة الظالم في ظلمه

وغيه، ومن هنا فإن ثمة نتائج وخيمة يحصدها المتكبر وهي آثار وضعية لتلك الخصلة المشينة في حياته لا يستطيع التملص منها شاء أم أبى ومن بينها:

١ـ انتشار البغض والكره بين الناس.

٢ـ ضياع قدر الإنسان المتكبر بين الناس وعدم احترامه وعدم شعوره بالأمن بينهم.

٣ـ يعتبر التكبر معصية للخالق العظيم وعدم شكره على نعمته التي أنعم بها الله تعالى عليه.

٤ـ التكبر نشر للرذيلة والأخلاق السيئة.

٥ـ مقت الله تعالى وسائر الأحرار للمتكبر.

علاج التكبر

وحيث كان التكبر هوساً أخلاقياً خطيراً ماحقاً، فجدير بكل عاقل أن يأخذ حذره منه، وأن يجتهد - إذا ما داخلته أعراضه - في علاج نفسه، وتطهيرها

من مثالبه، بأن يتواضع بالفعل ولسائر الخلق، ويواظب على اخلاق المتواضعين، ويكلف نفسه على ذلك إلى أن يقطع من قلبه شجرة الكبر بأصولها وفروعها ويصير التواضع ملكة له، إذ النفس قد تضمر التواضع وتدعي البراءة من الكبر، ولكن اذا وقعت الواقعة عادت إلى الكبر ونسيت وعدها، وإليك مجملاً من النصائح العلاجية:

١- أن يعرف المتكبر واقعه وما يتصف به من ألوان الضعف والعجز: فأوله نطفة قذرة، وآخره جيفة منتنة، وهو بينهما عاجز واهن، يرهقه الجوع والظمأ، ويعروه السقم والمرض، وينتابه الفقر والضُّر، ويدركه الموتُ والبِلى، لا يقوى على جلب المنافع وردّ المكاره، فحقيق بمن اتصف بهذا الوهن، أن ينبذ الأنانية والتكبر، مستهدياً بالآية الكريمة: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي

﴿الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.[1]

فأفضل الناس أحسنهم أخلاقاً، وأكثرهم نفعاً، وأشدّهم تقوى وصلاحاً.

٢- أن يتذكر مآثر التواضع ومحاسنه، ومساوئ التكبر وآثامه، وما ترادف في مدح الأول وذم الثاني من دلائل العقل والنقل، قال بزرجمهر: «وجدنا التواضع مع الجهل والبخل، أحمد عند العقلاء من الكبر مع الأدب والسخاء، فأنبِل بحسنة غطّت على سيئتين، وأقبح بسيئة غطّت على حسنتين».[2]

٣- أن يروض نفسه على التواضع، والتخلق بأخلاق المتواضعين، لتخفيف حدة التكبر في نفسه، وإليك أمثلة في ذلك:

أ- جدير بالعاقل عند احتدام الجدل والنقاش

(١) القصص: ٨٣.

(٢) محاضرات الأدباء للراغب.

في المساجلات العلمية أن يذعن لمناظره بالحق إذا ما ظهر عليه بحجته، متفادياً نوازع المكابرة والعناد.

ب- أن يتفادى منافسة الأقران في السبق إلى دخول المحافل، والتصدر في المجالس.

ج- أن يخالط الفقراء والبؤساء، ويبدأهم بالسلام، ويؤاكلهم على المائدة، ويجيب دعوتهم، متأسياً بأهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام.

د- أن يلبس ثيابا عادية، فإن لم يثقل عليه ذلك أصلا فليس فيه كبر ورياء، وإلا كان متكبرا مرائيا.

٤- أن يعلم الإنسان أن الكبر لا يليق إلا بالله تعالى وحده.

٥- إذا كان سبب التكبر الجمال أو القوة أو الغنى أو العلم أو النسب، فليحدث الإنسان نفسه بأن الجمال سيزول يوما ما والقوة تذهب والغنى والعلم

والحكمة بيد الله تعالى والنسب لا يفيده يوم القيامة.

٦ـ قبول الحق فإن هذه الصفة تبعد الإنسان من الكبر.

٧ـ الاستغفار، فإن المستغفر ليس بمستكبر ولا جبار، بل إن المستكبر من يصر على الذنب، وقد غلبه هواه وآثر دنياه على آخرته.

علامَ تتكبر؟!

إننا كبشر ما زلنا نـدور في دوامـة الـصراع مع النفس، فإنها بحاجة إلى كوابح وجوامح لابقائها على سكة الصلاح والاصلاح، وإن الكبر يبقى ذلك السوس الذي ينخر في لوحة الطموح في المجتمعات الانسانية، فالإنسان مهما بلغ من المنزلة والعظمة، يبقى ذلك المحتاج إلى أبسط سبل الحياة، وللتعامل الأمثل مع نظيره الخُلقي فهو بحاجة الى أدوات

التواضع لسحق الذات والسير نحو تحقيق الطموح الشخصي مع الاحتفاظ على الحق النوعي في علاقاته الاجتماعية.

والحقيقة التي لا مناص منها أن الانسان المتواضع بخلاف المتكبر يرى نفسه ضئيلا أمام الخالق المتعال، الغني عن العالمين ومفيض الوجود على الخلائق أجمعين، فالإنسان الذي كله احتياج، كله ضعف، كله ثغرات، لا يحق له أن يتكبر حيث إن التكبر لا يليق إلا بساحة قدسه سبحانه وتعالى، وإن فايروس الكبر ينبت في البيئة الطالحة، أما البيئة الصالحة فإنها سالبة بانتفاء موضوعها، لا كبر في البين لينبت فيها ذلك الطلع المر ولا مرارة الحنظل والقاسي ولا قساوة الشوك في أذاها وفتكها بالمجتمعات البشرية.

جاء في كتاب (الصداقة والاصدقاء) إن والي خراسان المهلب ابن أبي صفرة كان واليا من قبل

عبد الملك بن مروان، لبس ذات يوم ثوبا من الخز، وكان يسير في الطرقات متبخترا متعاليا، يكاد أن يطأ رؤوس الناس، وبينما هو كذلك، قابله رجل من عامة الناس فقال له: يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله.

فرد عليه المهلب قائلا: ويلك أتعرفني من أنا؟!

فقال له: بلى أعرفك، أنت أولك نطفة نتنة، وآخرك جيفة قذرة، وما بينهما تحمل العذرة، فعلام تتكبر؟!.

مسك الختام

فالمفروض على المتكبر أن يُساد لا أن يسود، وأن يُطيع لا أن يُطاع، وأن يُملى عليه لا أن يُملي، فلو كان المتكبر سيدا كما يدعي لما ناله أذى على الإطلاق والحال أنه (مكنون العلل محفوظ العمل تؤلمه البقة تقتله الشرقة تنتنه العرقة) كما وصفه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فبأي لسان يدعي السيادة وهو المسود، وبأي حق يدعي الوجاهة وهو الموجّه، وبأي حق يستعلي على الآخرين وهو منهم، محتاج كما هم محتاجون، وضعيف أمام الطبيعة كما هم ضعفاء، فتركيبة الإنسان تقتضي أن يكون متواضعا فهذا هو الأصل فيه، لأن التكبر يضاهي اللامحدود وهو الله تعالى لا غير، ولا يليق بمخلوق كله احتياج كله ضعف كله وهن.

من شاء أن يعرف نفسه فليتصف بالتواضع، لأن ثمة سنخية بين الاحتياج والتواضع، أما المتكبر فإنه علاوة على نبذ العقلاء لتصرفاته وحركاته وسكناته، فإنه يضرب قانون السنخية عرض الجدار، وهو تمرد ليس على نفسه فحسب، بل تمرد على نواميس الطبيعة، وهو الجهل المركب بعينه، فالمتكبر بخيلائه في فكره وتجبره في سطوته وتبختره في مشيته، إلى أين يريد؟! والقرآن أرشدنا إلى هذه الحقيقة بقوله تعالى: **﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا﴾**.[1] .

(١) الأسراء، ٣٧.